



اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّانِي مِنْ:

شَرْحُ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلَّفُ الْمَنْ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازْمُولٍ -حَفِظَهُ اللَّهُ-

تَحْتَ إشرافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ
مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَنُؤَاوِلُ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - قِرَاءَةَ رِسَالَةِ ((الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ)) لِشَيْخِ
الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -، وَقَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ فِي الْقِرَاءَةِ
وَالْتَعْلِيقِ أَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاكُمْ مَعَ إِخْوَانِي طُلَّابِ الْعِلْمِ وَطَالِبَاتِ الْعِلْمِ مَا سَبَقَ أَنْ مَرَّ
مَعَنَا فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ، وَهِيَ: الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ
يَتَعَلَّمَهَا، فَمَا هِيَ تِلْكَ الْمَسَائِلُ؟!

أَوَّلًا: الْعِلْمُ. وَثَانِيًا: الْعَمَلُ. وَثَالِثًا: الدَّعْوَةُ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ. وَرَابِعًا: الصَّبْرُ
عَلَى الْأَذَى الَّذِي قَدْ يَتَرْتَّبُ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : بَابُ : الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . ثُمَّ
اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : { فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ } ، فَبَدَأَ
بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .

إِذَنْ ؛ هَذِهِ هِيَ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعَةُ ، عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مُتَذَكِّرِينَ لَهَا عَامِلِينَ بِهَا .

وَالْيَوْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى نُكْمِلُ دِرَاسَةَ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ .

الْمَثْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهَا :

الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا}.

الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مَوْالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ}.

الشرح

فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هِيَ مِنَ الْأُصُولِ الْمُفِيدَةِ وَالْمُهَمَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا.

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : ((اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)).

فَقَوْلُهُ: ((يَجِبُ)) أَيُّ: وَجُوبًا عَيْنِيًّا.

لِمَاذَا؟!

لَأَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ يَسْتَقِيمُ بِهَا الدِّينُ، وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْأُصُولِ وَالْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ جَهْلُهَا، وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِخِلَافِهَا.

قَوْلُهُ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ))؛ يَعْنِي: ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى. فَالْمُسْلِمُ مُكَلَّفٌ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَالْمُسْلِمَةُ مُكَلَّفَةٌ وَعَلَيْهَا أَنْ تَتَعَلَّمَ، وَأَنْ تَشْتَغَلَ بِمَا يَنْفَعُهَا مِنْ أُمُورِ دِينِهَا، وَمَا يَقْرُبُهَا إِلَى رَبِّهَا، وَأَنْ تَحْذَرَ الْمُسْلِمَةُ خُصُوصًا هَذِهِ الْأَيَّامَ وَهَذِهِ الْأَزْمَنَةَ الْمُتَأَخِّرَةَ الَّتِي يَخْرِصُ فِيهَا أَعْدَاءُ اللَّهِ وَيَخْرِصُ فِيهَا أَهْلُ الْفِتَنِ وَالشَّرِّ عَلَى

فَنَتَّهَهَا وَعَلَى انْجِرَافِهَا، وَعَلَى اسْتِعْمَالِهَا سِلَاحًا ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، فَيَجْعَلُونَهَا فِتْنَةً لِأَهْلِ
الإِسْلَامِ.

فَالْمُسْلِمَةُ هِيَ أُمُّ، وَهِيَ أُخْتُ، وَهِيَ زَوْجَةٌ، وَهِيَ بِنْتُ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ
الْقَرَابَاتِ، عَلَيْهَا أَنْ تَحْرِصَ كُلَّ الْحَرْصِ عَلَى مَنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفِيدَهُ مِمَّنْ هِيَ مَسْئُولَةٌ
عَنْهُ.

أَمَّا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ
رَعِيَّتِهِ؛ فَالرَّجُلُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ
رَعِيَّتِهَا))؟!!

فَأَنْتِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ، أَنْتِ مَسْئُولَةٌ، وَالْحِمْلُ ثَقِيلٌ عَلَيْكِ، هَذِهِ الْأَجْيَالُ تَحْتَاجُ
إِلَى تَرْبِيَتِكَ وَإِلَى تَوْجِيهِكِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَعَلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَحُبِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَعَلَى أَنْ يَنْشَأَ النَّشْءُ
عِنْدَكَ مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَةِ وَنَحْوِهِمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

قَالَ: ((يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ)).

وَالثَّلَاثُ الْمَسَائِلُ هِيَ:

المُسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالْمُسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

والمسألة الثالثة: في الولاء والبراء.

أما المسألة الأولى (توحيد الربوبية) وهي تعني: أن نعتقد وأن نؤمن بأن الله - عز وجل - هو الخالق والرازق والمالك - سبحانه وتعالى - ، وأن الأمر بيده، وأنه - سبحانه وتعالى - له الملك التام - سبحانه وتعالى - .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : ((الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا)).

فالله - عز وجل - خلقنا من العدم، كما قال - عز وجل - : {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}؛ أي: كان معدومًا لم يكن موجودًا، فالله - عز وجل - هو الذي خلقنا، هو الذي أوجدنا من العدم، وخلقنا - سبحانه وتعالى - ومن رحمته وعظيم فضله أن رزقنا، فرزقنا النعم، كما قال الله - عز وجل - : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}.

فالله - عز وجل - هو الرزاق، وهو - سبحانه وتعالى - هو الغني، ونحن الفقراء إليه، فالله - عز وجل - خلقنا ورزقنا، كما قال الله - عز وجل - : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين}.

فَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، هُوَ الَّذِي نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي سُؤَالِ
الرِّزْقِ، الرِّزْقُ لَيْسَ فَقْطً فِي الْمَالِ، الرِّزْقُ يَكُونُ بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ، بِالزَّوْجِ الصَّالِحِ،
بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، بِرِزْقِ الطَّيِّبَاتِ وَالْأُمُورِ الصَّالِحَةِ، فَمِنْ الْغَلَطِ الَّذِي يَفْهَمُهُ بَعْضُ
النَّاسِ أَنَّهُ يَقْصُرُ الرِّزْقُ فَقْطً عَلَى الْمَالِ.

لَا، اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ يُعْطِيكَ مِنَ الرِّزْقِ مَا لَا يُعْطِي غَيْرَكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ،
بِأَنْ يَرْزُقَكَ أَوْلَادًا صَالِحِينَ بَارِينَ، أَوْ أَنْ يَرْزُقَكَ الصَّلَاحَ فِي أَمْرِكَ، فَالْمَالُ لَيْسَ
كُلُّ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنَ النِّعَمِ، {وَإِنْ
تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا}.

إِذَنْ؛ ((أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا)) يَعْنِي: لَمْ يَتْرُكْنَا نَفْعَلْ مَا
نَشَاءُ، وَنَخْتَارُ مَا نَشَاءُ، وَلَمْ يَتْرُكْنَا نَلْعَبْ وَنَلْهُو ثُمَّ نَمُوتُ وَتَنْقُضِي الْأُمُورُ، لَا، بَلْ
إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مَعَ مَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ مِنْ نِعْمَةِ الْخَلْقِ، وَنِعْمَةِ الرِّزْقِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا
بِنِعْمَةِ الرِّسَالَةِ.

فَأَرْسَلَ لَنَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لِيُخْرِجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ، لِيُقَرِّبَنَا مِنْ رَبِّنَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمِنْ جَنَّتِهِ، وَيُبْعِدَنَا عَنِ النَّارِ وَعَنْ
سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا سُدًى، لَا نُؤْمَرُ وَلَا نُنْهَى، كَمَا قَالَ
- عَزَّ وَجَلَّ - : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}.

وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}؛ أَي: هَمَلًا؛ لَا يُحَاسِبُ، وَلَا يُعَاقَبُ، وَلَا حِكْمَةٌ مِنْ خَلْقِهِ. بَلْ هُنَاكَ -كَمَا سَبَقَ- حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَرْسَلَ إِلَيْنَا هَذَا الرَّسُولَ كَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ((بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)).

هَذَا الرَّسُولُ كَمَا نَعْلَمُ كُلُّنَا هُوَ حَبِيبُنَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، الرَّحِيمُ الرَّءُوفُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا وَدَّلَنَا عَلَيْهِ، وَمَا تَرَكَ شَرًّا إِلَّا وَحَذَّرَنَا مِنْهُ، وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَشْهَدَ الصَّحَابَةَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ)).

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِنُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَنَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، لِذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: ((فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

وَأَيْضًا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
أَبَى))؛ يَعْنِي: مَنْ رَفَضَ.

قَالُوا: وَمَنْ يَا أَبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! مَنْ يَرُفُضُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي
فَقَدْ أَبَى)).

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : ((الْكَمَالُ فِي كَمَالِ طَاعَةِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا)) اهـ.

فَطَاعَةُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهَا الْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ، وَفِيهَا
النَّجَاةُ.

نَحْنُ نَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ، نَبْحَثُ عَمَّا يُرِيحُنَا، نَبْحَثُ عَمَّا يُسَعِدُنَا، نَبْحَثُ
عَنْ أُمُورٍ يَكُونُ فِيهَا الْخَيْرُ.

أَلَا فَلْنَعْلَمْ جَمِيعًا أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي طَاعَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - ، وَالسَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ فِي طَاعَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ،
وَالرَّاحَةُ كُلُّ الرَّاحَةِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَطَاعَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

لَذَلِكَ مَنْ بَحَثَ عَنِ السَّعَادَةِ فِي غَيْرِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَاللَّهُ لَمْ يَسْعِدْ، وَاللَّهُ لَمْ يُفْلِحْ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَفِي شَقَاءٍ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ هَذَا طَرِيقُهَا، وَهَذَا سَبِيلُهَا، وَهَذَا الطَّرِيقُ الْمُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ)).

((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ))؛ مَنْ عَصَى الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ النَّارَ كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : {وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا}.

وَمُرَادُهُ هُنَا ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ))؛ يَعْنِي مَنْ كَفَرَ بِهِ وَمَنْ جَحَدَهُ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - دَخَلَ النَّارَ، هَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ؛ هَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)).

وَأَيْضًا مَنْ عَصَى الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنْ ارْتَكَبَ الذُّنُوبَ دُونَ الْكُفْرِ فَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ تَحْتَ الْمَشِئَةِ إِنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمَعَاصٍ هُوَ تَحْتَ الْمَشِئَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غُفِرَ لَهُ ابْتِدَاءً فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ثُمَّ مَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وَذَكَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ أَنْ
تُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ
تُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً ثَلَاثَةً أَنْ
يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ثُمَّ يَقْبِضُ اللَّهُ
قَبْضَةً يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِمَّنْ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ.

فَهُمْ لَا يُحْلَدُونَ فِي النَّارِ وَهُمْ كَمَا سَبَقَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَفَرَ لَهُمْ
ابْتِدَاءً وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

وَالشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)) أَيْ:
وَمَنْ كَفَرَ بِهِ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ حِينَ قَالَ:

((وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا
إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا})).

فَإِذَنْ مُرَادُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِقَوْلِهِ: ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)) أَيْ:
بِالْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَالْإِشْرَاكِ يَسْتَوْجِبُ النَّارَ بِذَلِكَ.

وإنما بَهِتَ عَلَى مَسْأَلَةٍ أَنَّ مَنْ عَصَاهُ مَعَ التَّوْحِيدِ لَا يُحْلَدُ فِي النَّارِ وَهُوَ تَحْتَ
الْمُشِيَّةِ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَصَلَ فِيهَا التَّدْلِيلُ وَالتَّلْيِيسُ مِمَّنْ يُعْرِفُ
بِالْخَوَارِجِ وَمِمَّنْ يُعْرِفُونَ بِالدَّوَاعِشِ وَنَحْوِهِمْ، الَّذِينَ يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي مِنْ
أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ السَّلَفَ الصَّالِحَ يَعْتَقِدُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ
الْأَدِلَّةُ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَيْسَ
بِمُشْرِكٍ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ حَيًّا مِمَّنْ وَقَعَ فِي الذُّنُوبِ مَعَ إِيْتَانِهِ بِالتَّوْحِيدِ فَهُوَ مُسْلِمٌ
نَاقِصُ الْإِيمَانِ، مُؤْمِنٌ بِطَاعَتِهِ فَاسْتَقْبَلَتْ بِمَعْصِيَتِهِ.

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ ذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِمَّنْ كَانَتْ قَبْلَنَا
بَغِيَّةً كَانَتْ زَانِيَةً تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ فَرَأَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ فَنَزَعَتْ حُفَّهَا فَسَقَتْهُ مِنَ الْبُيْرِ
فَغَفَرَ اللَّهُ لَهَا .

وَأَيْضًا ذَكَرَ لَنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ جَاءَ فِي قِصَّةِ أَحَدِ
الصَّحَابَةِ أَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ فَجُلِدَ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ وَثَلَاثَةً فَسَبَّهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ
فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا تَسُبُّهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) فَأَثْبَتَ لَهُ
مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ .

فَإِذَنْ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَدَمُ تَكْفِيرِ صَاحِبِ الْمَعْصِيَةِ وَكَمَا فِي
الْآيَةِ السَّابِقَةِ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ ((يَا بَنَ آدَمَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ)) يَعْنِي بِمَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ ((خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَغَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي)).

هَذِهِ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ وَعَلَى أَهَمِّيَّةِ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَأَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَخْرُصَ كُلَّ الْحَرْصِ عَلَى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَعَلَى خُطُورَةِ الشُّرْكِ وَالْبُعْدِ عَنْهُ وَأَنَّ الشُّرْكَ يُبْطِلُ الْعَمَلَ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُحَاطِبًا نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ وَحَاشَاهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَقَعَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}.

فَإِذَنْ؛ هَذِهِ الْأَدِلَّةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَى الدَّوَاعِشِ، فِيهَا رَدٌّ عَلَى الْخَوَارِجِ الَّذِينَ يُكْفِّرُونَ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي؛ أَمَا سَمِعْنَاهُمْ قَبْحَهُمُ اللَّهَ وَقَاتَلَهُمْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أَمَا سَمِعْنَاهُمْ يَقُولُونَ: قَرِيبُكَ أَخُوكَ خَالُكَ ابْنُ عَمِّكَ يَعِصِي أَوْ يَعْمَلُ مَثَلًا مَعَ كَذَا فَكَفَّرَهُ ثُمَّ أَقْتَلَهُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حُبِّ الشَّيْطَانِ كَمَا وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

فِيمَ وَصَفَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْخَوَارِجَ؟!

بأنهم ذنابٌ في جُسمانِ إنسٍ؛ ووصفهم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنهم يقتلون أهلَ الإسلامِ ويتركون أهلَ الأوثانِ؛ ووصفهم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنهم شرُّ الخليقةِ وبأنهم شرُّ قتلٍ تحتَ أديمِ السماءِ.

لذلك لا يجوزُ الفرحُ بما يعملونَ ولا تجوزُ محبتهم ولا نصرتهم ولا اعتقادُ أنهم على حقٍّ، بل يجبُ على كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ أنْ يعتقداَ أنهم على باطلٍ وأنهم مُفسدونَ وأنهم مُبتدعةٌ ضلالٌ كما حكمَ بذلكَ أهلُ العلمِ وكما بينَ ذلكَ أهلُ العلمِ.

إذن نعوذُ لمُسالمتنا وهي أنْ مَنْ عصَى الرسولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالكُفرِ أو الشرِّكِ أو الإلحادِ أو ما يُخرجُ به عَنِ الدِّينِ فهو من أهلِ النارِ.

قال: ((والدليلُ قولُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ})).

هَذَا خِطَابٌ لَنَا، أَرْسَلَ اللهُ لَنَا نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاهِدًا عَلَيْنَا.

فِي مَاذَا يَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْنَا؟!

فِي أَنْ بَلَّغْنَا، وَشَاهِدًا عَلَيْنَا أَيْضًا بِأَعْمَالِكُمْ - يَعْنِي الصَّحَابَةَ - فِي عَهْدِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَأَيْضًا شَاهِدًا عَلَيْنَا فِي أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ كَمَا سَبَقَ مَعَنَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ! اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ)).

إِذَنْ؛ {رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ}؛ وَكُلُّ نَبِيٍّ يَأْتِي مَعَ أُمَّتِهِ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَهَا مَا أَمَرَهَا اللَّهُ بِهِ.

قَالَ: {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} وَهُوَ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} كَفَرَ بِهِ وَجَحَدَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

مَا كَانَ عِقَابُهُ؟!

قَالَ: {فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا}؛ أَيُّ: أَخَذْنَا فِرْعَوْنَ أَخَذًا شَدِيدًا بِإِغْرَاقِهِ وَجُنُودِهِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ بَعَدَ ذَلِكَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعْرَضُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}.

فَيُعْرَضُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُعَذَّبُونَ غُدُوًّا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَعَشِيًّا فِي آخِرِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}.

إِذَنْ؛ هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ذَكَرَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ لِيَذْكُرَنَا جَمِيعًا أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَأَنَّ الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَأَنَّ مَا سِوَاهُ عِبَادٌ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَ الْإِنْسِ وَمِنَ الْجِنِّ.

فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَعْتَقِدَ فِي أَحَدٍ أَنْ يَبْدَهُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ -
عَزَّ وَجَلَّ -؛ كُلُّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ رَازِقٌ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛
فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِذَا وَأَنْ نَتَذَكَّرَ هَذَا وَأَلَّا يَصْرِفَنَا الشَّيْطَانُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؛
لِذَا رُتِّبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ :

المسألة الثانية: وهى توحيد الألوهية، فقال أن مما ينبغي لك أن تعلمه أن
تعلم أن الله لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

لَا بُدَّ أَنْ نُوقِنَ بِهِذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَأَنْ نَعْتَقِدَهَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ نُشْرِكَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا
لَا يَجُوزُ أَنْ نَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالطَّوَافِ وَالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ
وغير ذلك أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لَا تُصْرِفُ إِلَّا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَمَنْ صَرَفَهَا
لِغَيْرِ اللَّهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ لَا
جَبْرِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا إِسْرَافِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

اللَّهُ مَا يَرْضَى أَنْ تُشْرَكَهُمْ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

لهذا؟

لأنه هو الخالق هو الرّازق هو الربّ سبحانه وتعالى وما سواه مخلوقون
فكيف تجعل المخلوق كالخالق؟!

كيف تعتقد أن المخلوق يستطيع أن يتصرف في هذا الكون أو أن ينفعك
أو أن يضرّك وهو مخلوق مثلك عبد مثلك؟!

كَيْفَ تَعْتَقِدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ الضَّالِّ؟!

لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا قَالَ: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}.

وَقَالَ: {وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا}؛ أَي: وَلَمْ يَرْضَ غَيْرَهُ.

وَقَالَ: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

وَقَالَ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

وَالْإِسْلَامُ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ. فَاعْلَمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا الْأَمْرَ .

((وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)) لَا نُوحٌ وَلَا مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا مُحَمَّدٌ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ صَاحِبُ اللِّوَاءِ وَالْمَقَامِ الْمُحْمُودِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- صَاحِبُ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ.

فَإِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَرْضَى أَنْ تُشْرِكَ مَعَهُ بَلْ وَلَا الْأَنْبِيَاءُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ لَا يَرْضَوْنَ أَنْ تُشْرِكَهُمْ مَعَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّءُونَ مِمَّنْ عَبَدَهُمْ وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِهِمْ وَلَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِذَلِكَ.

فَإِذَنْ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَنَبَّهُ لِهَذَا الْأَمْرِ.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: ((وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}).

أَي: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ، أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} نَهَانَا أَنْ نَدْعُو مَعَهُ أَحَدًا كَائِنًا مَنْ كَانَ.

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ} مَا الْمُرَادُ بِالْمَسَاجِدِ؟!

الْمَسَاجِدُ: إِمَّا الْأَمَاكِنُ الْمُخَصَّصَةُ لِلصَّلَاةِ، هَذَا مَعْنَى .

وَمَعْنَى آخَرُ: أَنَّ الْمَسَاجِدَ هِيَ أَعْضَاءُ السُّجُودِ؛ يَعْنِي: (الْوَجْهَ وَمِنْهُ الْجَبْهَةَ - الْأَنْفَ - الْيَدَانِ - الرُّكْبَتَانِ - الْقَدَمَانِ).

هَذِهِ أَعْضَاءُ السُّجُودِ الَّتِي تَسْجُدُ لِلَّهِ، هَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تَسْجُدُ لِلَّهِ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَا تُصَرَفُ لِغَيْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

وَقَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ- {أَحَدًا}؛ يَعْنِي: لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا وَلَا وَلِيًّا وَلَا غَيْرَهُمْ لَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَلَا دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ وَلَا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ إِنَّمَا هِيَ لِلَّهِ؛ وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُنَا قَالَ: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

فَذَكَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّ لَا نَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَالْمَعْنَى أَنَّ لَا نَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَلَا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ نَصْرِفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ، مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))
يَعْنِي مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ دُعَاءُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَتَوَحُّدُهُ بِاللُّغَةِ وَإِخْلَاصُهُ
بِالدُّعَاءِ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الْمُسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ الْمُتَرَتَّبُ عَلَى تَوْحِيدِ
الرُّبُوبِيَّةِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَعِيَ هَذَا الْأَمْرَ وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ
عَنِ الشِّرْكِ)).

اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ .. تَأَمَّلُوا .. ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ
عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ))؛ يَعْنِي لَنْ يَقْبَلَهُ؛ فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-
يَقُولُ: كُلُّ شَرِيكَ مَعَ شَرِيكِهِ قَدْ يَفْرَحُ بِهِ وَقَدْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَقَدْ يَسْتَعِينُهُ وَلَكِنْ أَنَا اللَّهُ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْفَرْدُ أَنَا لَا أَحْتَاجُ إِلَى شَرِيكَ وَلَا أَرْضَى بِشَرِيكَ فَمَنْ عَبَدَنِي
وَأَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي فَإِنِّي أَتْرُكُهُ وَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.

فَإِذَنْ؛ عَلَيْنَا أَنْ نَتَنَبَّهَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَسَيُفَصِّلُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ وَيَذْكُرُهَا لَنَا وَسَنَقِفُ مَعَهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ((الثالثة)).

أشارَ إِلَى مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، لِمَاذَا يُشِيرُ إِلَى مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ؟!

لَأَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَحَرَّفَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْحَقِّ وَتَضَلَّهْ وَتَجَعَّلَهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَضِيَّةَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُهِّمَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَهَا وَأَنْ نَتَعَلَّمَهَا وَأَنْ لَا نَقَعَ فِيهَا يُخَالِفَهَا لِأَنَّهُ سَيَرْتَبُ عَلَيْهَا أُمُورٌ عَظِيمَةٌ.

فَالْوَلَاءُ بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّوَلَّى.

وَالْبَرَاءُ بِمَعْنَى التَّبَرِّيِّ وَالتَّرْكِ وَالْخُلُوصِ مِنَ الشَّرِّكَ وَأَهْلِهِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ((الثالثة: أَنْ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبًا)).

مُرَادُهُ بِمُوَالَاةٍ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَيْ مَحَبَّتُهُ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ وَنُصْرَتُهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْفَرَحُ بِنُصْرِهِ وَمَحَبَّةُ نُصْرَتِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْوَلَاءِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

قَالَ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ} - أَيْ يُحِبُّونَ - {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} - أَيْ مَنْ كَفَرَ {وَلَوْ كَانُوا} - أَيْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ {آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

فَذَكَرَ أَقْرَبَ قَرِيبِ الَّذِي قَدْ يَضْعُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَرْكُهُ وَلَكِنْ يَسْهَلُ عَلَى
الْمُؤْمِنِ تَرْكُهُ لِأَنَّهُ يَتْرُكُهُ لِلَّهِ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ أَبِيهِ وَمِنْ
قَوْمِهِ حِينَ عَبَدُوا النَّارَ وَأَشْرَكُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

فَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - هَؤُلَاءِ الْأَقْرَبَاءَ لِيَقُولَ لَنَا أَنْ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ
بَابِ أَوْلَى وَإِنَّ الْأُبُوَّةَ أَوْ الْبُنُوَّةَ أَوْ الْأُخُوَّةَ أَوْ الْقُرْبَى بِالْعَشِيرَةِ لَا مَكَانَ لَهَا مَعَ الْكُفْرِ
وَلَا اعْتِبَارَ لَهَا مَعَ الْكُفْرِ .

إِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ حِينَ قَتَلَهُ وَهُوَ
كَافِرٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ لِأَنَّهُ كَافِرٌ وَأَرَادَ مُقَاتَلَةَ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ فَقَتَلَهُمْ
لِذَلِكَ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ أَوْلَيْكَ: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} .

فَالْمُؤْمِنُ كَمَا يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَتَصَوَّرُ مِنْهُ أَنْ يَقَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ
يُحِبَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لِكُفْرِهِمْ وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ فَمَنْ حَقَّقَ الْبَرَاءَةَ فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
أَخْبَرَ بَأَنَّهُ يُشَبِّهُ وَيَجَازِيهِ بِأُمُورٍ:

- مِنْهَا جَمْعُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} .

- وَمِنْهَا دُخُولُ الْجَنَّةِ {وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} .

- وَمِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}.

- وَأَيْضًا أَنَّهُمْ يَرْضَوْنَ وَكَمَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَرِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}.

- وَأَيْضًا إِكْرَامُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ بِأَنَّهُمْ حِزْبُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ((مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُوَادٌّ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ مُحِبٌّ لِمَنْ نَبَذَ الْإِيمَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَإِنَّ هَذَا الْإِيمَانَ زَعْمِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ يَعْنِي مُجَرَّدَ زَعْمٍ مُجَرَّدَ قَوْلٍ لَا يَتَّبِعُهُ فِعْلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ بُرْهَانٍ يُصَدِّقُهُ يَعْنِي مِنْ دَلِيلٍ يُصَدِّقُهُ فَمُجَرَّدُ الدَّعْوَى لَا تُفِيدُ شَيْئًا وَلَا يُصَدِّقُ صَاحِبُهَا)) اهـ .

فَإِذَنْ؛ عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ جَيِّدًا أَنَّ مُوَالَاةَ الْكَافِرِينَ وَتَوَلِّيَهُمْ كُفْرٌ مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، مَتَى تَكُونُ كُفْرًا مُخْرَجًا مِنَ الْمِلَّةِ؟!

إِذَا كَانَتْ مُوَالَاتُهُمْ مِنْ بَابِ تَوَلِّيهِمْ؛ مَحَبَّةُ الشَّرِكِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّةُ أَهْلِهِ، وَمَحَبَّةُ نُصْرَةِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ الْفَرَحُ بِنُصْرَتِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ إِعَانَتُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَمُظَاهَرَتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ كَمَا قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ}.

كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي رِسَالَةِ ((نَوَاقِصِ الْإِسْلَامِ)): ((الثَّامِنُ)) أَيْ: مِنْ نَوَاقِصِ الْإِسْلَامِ ((مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ

وَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}،
هَذَا النَّوعُ مِنَ الْمَوَالَاةِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْمَوَالَاةِ لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَلَكِنَّهُ مُحَرَّمٌ
وَكَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، مَا هِيَ هَذِهِ الْمَوَالَاةُ؟!

هِيَ الْمَوَادَّةُ وَالصَّدَاقَةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ وَالْمُحَادَّةِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى- : ((الْوَلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ وَالْوَلَايَةُ تَضَمَّنُ الْمَحَبَّةَ وَالْمُوَافَقَةَ وَالْعَدَاوَةُ
تَضَمَّنُ الْبُغْضَ وَالْمُخَالَفَةَ)).

فَإِذَنْ؛ ضَابِطُ الْمَوَالَاةِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَابِ الْمَعْصِيَةِ وَلَيْسَتْ بِكُفْرٍ، مِنْ بَابِ
الْكَبِيرَةِ وَكِبَائِرِ الذُّنُوبِ، هِيَ مَحَبَّةُ أَهْلِ الشَّرْكِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا لَا لِأَجْلِ الدِّينِ، إِذَا
كَانَتْ لِأَجْلِ الدِّينِ فَهَذِهِ كُفْرٌ أَكْبَرُ كَمَا سَبَقَ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا
لَيْسَتْ بِكُفْرٍ، بَلْ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي
وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ} فَسَاءَ لَهُمُ بِالْمُؤْمِنِينَ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ} أَيُّ؛ بِالْمَحَبَّةِ لِأُمُورِ الدُّنْيَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : ((وَقَدْ تَحْصُلُ لِلرَّجُلِ مَوَادَّتُهُمْ لِرَحِمٍ أَوْ حَاجَةٍ فَتَكُونُ
ذَنْبًا يَنْقُصُ بِهِ إِيْمَانُهُ وَلَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا كَمَا حَصَلَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ حِينَمَا
كَانَ عَمَلُهُ ذَنْبًا وَتَابَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَرْضَاهُ)).

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُوَالَاةِ الْكُفْرِيَّةِ وَالْمُوَالَاةِ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ
بِكُفْرِيَّةٍ، وَالْعُلَمَاءُ يُطْلِقُونَ عَلَى الْمُوَالَاةِ الْكُفْرِيَّةِ التَّوَلَّى لِمَا فِيهَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ
وَمَا سَبَقَ، وَأَمَّا الْمُوَالَاةُ الَّتِي لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَا يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ التَّوَلَّى بَلْ
يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ الذُّنُوبِ وَكِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

فَالْمَحَبَّةُ لِلْكَافِرِينَ لِدِينِهِمْ كُفْرٌ، وَالْمَحَبَّةُ لِلْكَافِرِينَ لِلدُّنْيَا مَعْصِيَةٌ وَكَبِيرَةٌ مِنْ
كِبَائِرِ الذُّنُوبِ .

وَنَوْعٌ ثَالِثٌ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَهُ وَأَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ لِلدُّنْيَا وَبَيْنَ مُجَرَّدِ
التَّعَامُلِ مَعَهُمْ، فَإِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي تِجَارَاتٍ وَنَحْوِهَا وَفِي مُعَاهَدَاتٍ دَوْلِيَّةٍ
وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا التَّعَامُلَ لَا يَقْتَضِي مَحَبَّتَهُمْ وَلَا يَقْتَضِي
مُؤَالَاتِهِمْ بَلْ هَذِهِ مُعَامَلَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ لَيْسَتْ بِإِثْمٍ وَلَيْسَتْ بِذَنْبٍ بَلْ هِيَ أَمْرٌ مُبَاحٌ.

فَالصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- كَانُوا يَتَبَايَعُونَ وَيَشْتَرُونَ مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى فِي الْمَدِينَةِ، بَلِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونٌ عِنْدَ
يَهُودِيٍّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَيَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُوَالَاةِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَحُكْمِ كُلِّ نَوْعٍ؛ فَإِنَّ بَعْضَ
النَّاسِ مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ مِنَ الدَّوَاعِشِ وَالْخَوَارِجِ وَتَنْظِيمِ الْقَاعِدَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
التَّكْفِيرِيِّينَ كَجَبْهَةِ النُّصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ
فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْكَافِرِينَ لِلدُّنْيَا كُفْرٌ، وَأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْكَافِرِينَ وَلَوْ كَانَ بِلاَ مَحَبَّةٍ

هَمْ هِي مَحَبَّةٌ وَكُفْرٌ، فَيَكْفُرُونَ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ، وَهَذَا بِلَا شَكٍّ خَطَأٌ وَتَلْبِيسٌ عَلَى النَّاسِ.

فَقَدْ بَيَّنَّا الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ:

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْمُوَالَاةُ بِمَعْنَى التَّوَلَّى مَحَبَّتَهُمْ لِدِينِهِمْ وَنُصْرَتَهُمْ لِدِينِهِمْ وَالْفَرْحُ بِنُصْرِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذِهِ كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرَجٌ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنْ مُسْلِمٍ أَنْ يَقَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

كَيْفَ يَفْرَحُ الْمُسْلِمُ بِنُصْرَةِ الْكَافِرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؟!

كَيْفَ يُحِبُّ الْمُسْلِمُ لِلْكَافِرِ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؟!

كَيْفَ يُقَاتِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْكَافِرِينَ مِنْ بَابِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ وَنُصْرَةِ الْكَافِرِ؟!

لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا الْفَرْقَ فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ مُخْرَجٌ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يُحِبَّ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ لِلدُّنْيَا، فَإِنَّ هَذَا كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ لَيْسَ بِكُفْرٍ كَمَا يَقُولُهُ التَّكْفِيرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَنْبٌ.

وَمِنْ هُنَا لَا بُدَّ أَنْ نُنبِّهَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حُبُّ لَا عِيبِي الْكَرَّةِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَجُوزُ مَحَبَّةُ الْفَنَانِينَ وَالْفَنَانَاتِ وَالْمُمَثِّلِينَ وَالْمُمَثِّلَاتِ وَالْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَّاتِ مِنَ الْكَافِرِينَ، هُمْ أَصْلًا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُبْغِضَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِسْقِ، وَلَا يُكْفَرُ هُمْ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا إِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا الْفُجُورِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كَانُوا كُفَّارًا كَأَنْ يَكُونُوا يَهُودًا
أَوْ نَصَارَى أَوْ مُلْحِدِينَ، فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُغَضِّهِمْ وَيَحْرُمَ عَلَيْهِ حُبُّهُمْ أَوْ أَنْ يُعَلِّقَ
صُورَهُمْ أَوْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُمْ أَوْ أَنْ يَتَّبَعَ أَخْبَارَهُمْ مَحَبَّةً لَهُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْمَوَالَاةِ
الْمَحْرَمَةِ وَهِيَ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

إِنْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا لَا لِدِينِهِمْ وَكُفِّرِهِمْ فَهَذَا لَيْسَ بِكُفْرٍ، بَلْ كَبِيرَةٌ
مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ فَتَنْبِيهُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ:

- الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: مَنْ يَسْتَغِلَّ هَذَا النَّوعَ وَيُكْفِّرُهُ فَنَقُولُ لَهُ: لَا لَيْسَ بِكُفْرٍ؛
لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ} فَسَمَاهُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَمْ يُكْفِّرْهُمْ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَوْ بَعْضُ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ إِنَّمَا وَقَعَتْ مِنْهُمْ مَحَبَّتُهُمْ لِلدُّنْيَا لَا لِلدِّينِ فَلِذَلِكَ لَمْ
يُكْفَرُوا.

- وَالتَّانِي الثَّانِي التَّنْبِيهُ لِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ وَأَخَوَاتِنَا الْمُسْلِمَاتِ: أَنْ لَا يُحِبُّوا
الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُثَلِّينَ وَالْمُمَثَّلَاتِ وَلَا عِبِي الْكُرَّةِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا مُفَكِّرِينَ
أَوْ كَانُوا مِنْهُمْ وَجَاهَاتٍ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ يُغَضُّونَ فِي اللَّهِ وَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ
فِي اللَّهِ وَلَا يُحِبُّونَ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَرَفَّعُ عَنْ هَؤُلَاءِ.

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّالِثُ: وَهُوَ التَّعَامُلُ مَعَ الْكُفَّارِ بَيْعًا وَشِرَاءً وَنَحْوَ ذَلِكَ، بَلْ
حَتَّى الْمُسْلِمُ يَتَزَوَّجَ النَّصْرَانِيَّةَ وَالْكِتَابِيَّةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَقَدْ أَذِنَ بِهِ الشَّرْعُ،
وَلَا يُعْتَبَرُ هَذَا مِنْ بَابِ مَحَبَّتِهِمْ لِدِينِهِمْ وَلَا مِنْ بَابِ مَحَبَّتِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلًا، هَذَا النَّوعُ الثَّلَاثُ الْمُعَامَلَةُ مَعَ الْكَافِرِينَ لِأَجْلِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَمَسْأَلَةَ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ وَهِيَ كَمَا سَبَقَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا وَأَنْ يَتَفَهَّمَهَا وَأَنْ يَعْرِفَ مَقَاصِدَهَا، فَلَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَصْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ -هَدَانَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ لِلصَّوَابِ- مِنْ اعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةٍ وَبَعْضِ الْإِعْتِقَادَاتِ الْكُفْرِيَّةِ أَوْ الشَّرَكِيَّةِ مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ خَطَأٌ مِنَ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ الطَّوَافِ عَلَى الْقُبُورِ أَوْ دُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ اعْتِقَادِ أَنَّ السَّيِّدَ الْفُلَانِيَّ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ أَوْ مَدَدِ يَا فُلَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِغَاثَاتِ بِالْأَمْوَاتِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَوْ أَنَّ الشَّيْخَ وَالْوَلِيَّ يَعْرِفُ مَا فِي قَلْبِي .

فَكُلُّ هَذَا مِنَ الْبَاطِلِ كُلُّ هَذَا مِنَ الْخَطَأِ الْعَظِيمِ .

إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، أَخَاطِبُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ اخْذَرُوا .. اخْذَرُوا .. اخْذَرُوا مِنَ الشَّرْكِ وَصُورِهِ!

احْذَرُوا مِنْ هَذَا الضَّلَالِ دُعَاءِ الْأَمْوَاتِ، الطَّوَافِ حَوْلِ الْقُبُورِ، الذَّبْحِ

لِغَيْرِ اللَّهِ!

اسْأَلْ نَفْسَكَ: هَذَا الْمَيِّتُ أَصْبَحَ تُرَابًا مَا الَّذِي يُفِيدُنِي؟! وَمَا الَّذِي بِيَدِهِ؟!

هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَ نَفْسَهُ حَتَّى يَنْفَعَنِي أَنَا؟!

اسْأَلْ نَفْسَكَ: ذَاكَ الْوَلِيُّ مَا الَّذِي يُعْلِمُهُ الْغَيْبَ وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ :

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ -

عَزَّ وَجَلَّ - فَكَيْفَ يَعْلَمُ هَذَا الْوَلِيُّ الْغَيْبَ؟!

مَنْ الَّذِي أَطْلَعَهُ؟!

الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُسْأَلُ عَنْ مَسَائِلَ وَيُجِيبُ: لَا أَدْرِي.

وَيَقُولُ: لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ. فَكَيْفَ يَزْعُمُ هَذَا الْوَلِيُّ الْمَزْعُومُ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟! وَكَيْفَ

تُصَدِّقُهُ؟!

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَلَوْ أَخْبَرُوكُمْ بِبَعْضِ الْأُمُورِ وَقَدْ وَقَعَتْ فَإِنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى

تَعَاوُنِهِمْ مَعَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ، فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُؤْمِنُوا بِهِمْ وَلَا

تُسَلِّمُوهُمْ قُلُوبَكُمْ وَعُقُولَكُمْ، سَلِّمُوا قُلُوبَكُمْ وَعُقُولَكُمْ لِلَّهِ وَلِسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلِدِينِهِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ.

كَيْفَ تُشْرِكُ مَعَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -؟! وَكَيْفَ تَدْعُو مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ؟!

رَاجِعْ نَفْسَكَ! وَحَاسِبْ نَفْسَكَ! وَسَلْ نَفْسَكَ: هَلْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ تُقَرِّبُنِي

مِنَ اللَّهِ؟!

هَلْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ يَرْضَاهَا اللَّهُ؟!

لِإِذَا بَعَثَ اللَّهُ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟!

وَمَا الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟!

إِنَّمَا بَعَثَهُ لِنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَإِنَّمَا جَاءَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَبِتَقْرِيرِهِ، حَتَّى قَبْلَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ: ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)).

لَعَنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ، فَكَيْفَ بِمَنْ اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَوْلِيَاءِ - وَبَعْضُهُمْ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ لَيْسُوا بِأَوْلِيَاءَ لِلَّهِ، وَلَكِنْ مِنْ دُعي مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ -؟!

فَكَيْفَ بِدُعَاءِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟!

لَا شَكَّ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)).

فَمَنْ دَعَا هَؤُلَاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَدْ اسْتَحَقَّ اللَّعْنَ، ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ)) كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ)).

إِخْوَانِي أَخَوَاتِي، هَذَا هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَاللَّهُ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
فُلَانٌ وَفُلَانٌ إِنْ مُتُّمْ عَلَى الشِّرْكِ وَإِنْ مُتُّمْ عَلَى الْكُفْرِ!!

وَاللَّهُ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ تَتَّبِعُونَهُمْ مِنْ دُونِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ إِنْ كَانُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ حَقًّا فَيَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ، وَإِنْ كَانُوا
أَوْلِيَاءَ لِلشَّيَاطِينِ وَأَوْهُمْوَكُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ مِمَّنْ مَاتَ
عَلَى الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ وَيَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ!!

الَّذِي يُهْدِّدُكَ فِي الدُّنْيَا يَتَّبِعُوكَ مِنْكَ فِي الْآخِرَةِ؛ لِمَذَا؟!

لَأنَّهُ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا، لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

مَنْ أَعْظَمَ مِنَ اللَّهِ؟!

مَنِ الْخَالِقُ؟!

مَنِ الْمُسْتَحِقُّ لِكُلِّ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ؟!

هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

تَأَمَّلُوا عِبَادَ اللَّهِ ...

تَأَمَّلُوا إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي هَذِهِ الْمَعَانِي ...

رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَحَاسِبُوا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا.

أَسْأَلُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا
لَا حُجَّةَ عَلَيْنَا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.